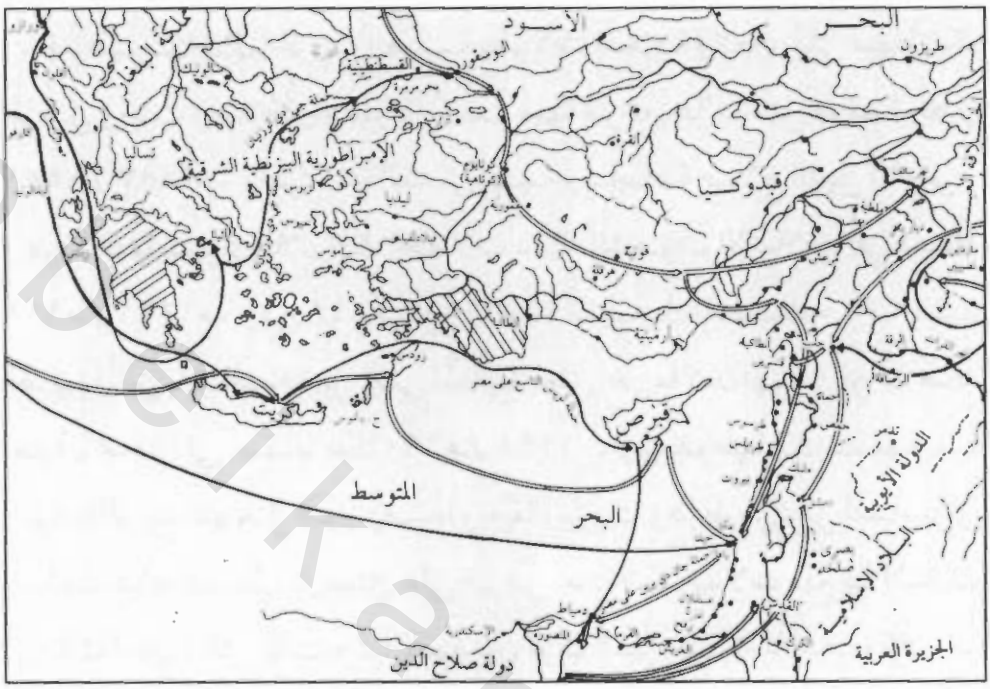

القرامطة «٢٧٧-٤٦٩هـ/ ٨٩١-١٠٧٧م»:

يرى بعض المؤرخين أن تسمية القرامطة ترجع إلى الداعية الذي أخذ يروج لتلك الدعوة بأرض الكوفة بالعراق وهو حمدان بن الأشعث، ولُقِّبَ قُرْمُطاً لأنه كان قصيراً ورجلاه قصيرتين. ويرى آخرون أن لفظة قرمط تعني المعلم السري. وقد أطلق لفظ القرامطة عليهم لما يحفل به مذهبهم الديني من أسرار تتأثر في بعض من محتواها بالعقيدة الإسلامية الصحيحة.

وعندما ذاعت أفكار القرامطة بين الراغبين في المال والسلطة والجاه، والذين يميلون بطبائعهم إلى التحلل من التكاليف الدينية التي يفرضها الإسلام، وانضم إليهم الكثيرون من هؤلاء تحولت حركة القرامطة إلى حركة سياسية يتطلع أصحابها

إلى إقامة دولة وجيش وحكومة، واتخذوا من إحدى القرى القريبة من الكوفة عاصمة لهم فأقاموا حولها سوراً عرضه ثمانية أذرع وخلفه خندق عظيم، وبنوا داخل السور المباني الكثيرة وأطلقوا على تلك العاصمة دار الهجرة، وتحوّل الرجال والنساء إليها في غفلة من الخلافة العباسية التي كانت مشغولة بمحاربة الفتن.

وقد اتسعت دولة القرامطة لتشمل منطقة البحرين، وامتدت امتداداً فسيحاً على الخليج العربي، وضمت بعض مناطق البدو المجاورة لمنطقة الخليج.

وهاجم القرامطة مناطق متعددة في العراق والشام وعمان والحجاز ومصر بهدف السلب والنهب لإشباع مطامع الأتباع، وقد عطل القرامطة الحج في بعض السنوات بانتهاك حرمة البيت الحرام وبالعدوان على الحجاج وتعطيل الصلاة بتدمير المساجد.

وهاجم القرامطة البصرة في عامي ٣٠٧هـ- ٣١١هـ/ ٩٢٠-٩٢٤م، ووضعوا السيف في رقاب أهلها وانتصروا انتصاراً ساحقاً، وقُتل من أهل البصرة خَلْقٌ كثيرٌ. وأقام القرامطة بالبصرة ١٧ يوماً، نهبوا فيها ما استطاعوا جمعه من الأموال والأمتعة والسبايا، ثم عادوا إلى هجر عاصمتهم.

وفي عام ٣١٢هـ/ ٩٢٥م، هاجم القرامطةُ الكوفةَ، وانتصروا على جند الخلافة وسلبوا المدينة ودمَّروها، وعادوا إليها مرّة أخرى عام ٣١٥هـ/ ٩٢٨م، للغرض نفسه.

كما هاجم القرامطة مكة المكرمة عام ٣١٢هـ/ ٩٢٥م، وأنزلوا بالحجاج في طريق عودتهم من مكة المكرمة كل سوء فنهبوا أموالهم وأمتعتهم وقتلوا منهم أكثر من ألفي حاج.

وفي عام ٣١٧هـ/ ٩٣٠م دخل القرامطة مكة المكرمة، واقتلعوا الحجر الأسود، كما اقتلعوا أبواب الكعبة وأستارها واستولوا على أموال أهل مكة، ولم يستجيبوا لطلب الخليفة الفاطمي إذ ذاك بردِّ الحجر الأسود إلى الكعبة، وظل الحجر الأسود لدى القرامطة نحو ٢٢ عاماً.

وهاجم القرامطة مناطق عديدة أخرى في الجزيرة العربية والعراق، منها عين التمر والأنبار، بل هددوا بغداد ذاتها.

وإذا كان القرامطة قد عاصروا على مدى قرنين من الزمان بعض الحركات في الدول الإسلامية كالطولونيين والإخشيديين والحمدانيين والصفاريين فقد كان القرامطة أطول عمراً وأثقل وزناً . . وكان لا بد لشمس القرامطة أن تغيب؛ فقد كان القرامطة يناوئون قوتين كبيرتين في العالم الإسلامي هما الدولة العباسية والدولة الفاطمية، ولم يكن بوسع القرامطة مقاومة هاتين القوتين. هذا إضافة إلى أن الانقسام كان قد بدأ يدب في صفوف القرامطة، فتحاربوا. وكان من أسباب ضعف القرامطة صراعهم ضد مصر وما أنزلته بهم من هزائم.

وفي عام ٣٧٨هـ/ ٩٨٩م، خرج إليهم رجل من بني المنتفق، اسمه الأصفر - في جمع كبير من الرجال، فقتل قائد القرامطة، وانهزم جيشه وأسر منه عدد كبير. وسار الأصفر إلى الأحساء ثم القطيف، وأخذ ما كان في القطيف للقرامطة من الأموال والعبيد والمواشي، وسار بهم إلى البصرة. ولم ينتصر للقرامطة بعد ذلك جيش، ولزموا أراضيهم. وتخلّى عن القرامطة عدد كبير من المتشيعين لهم، كما خرجت عليهم كثير من البلدان التي كانت تدين لهم بالطاعة.

وانتهى شأن القرامطة تماماً بعد موقعة الخندق عام ٤٦٩هـ/ ١٠٧٦م بالأحساء بين الجيش العباسي والقرامطة.

المغول:

كان المغول قبائل همجية وحشية، يعيشون قطعاناً ضخمة تسكن بيوتاً من شعر الماعز، تنتقل في الهضبة الآسيوية الشاسعة التي تمتد من أطراف الصين غربي سور الصين العظيم إلى أواسط آسيا باحثين عن الرزق والمراعي. وكانوا لا يكتفون بالمراعي الحرة التي لا يملكها أحد، وإنما يستولون على المرعى وعلى المزارع المملوكة للآخرين ليحصلوا منها على فائدة سريعة دون عناء أو جهد، ثم يتركونها بحثاً عن غيرها.

وكان المغول يقضون على كل ما يقابلهم من مظاهر الحضارة، فيهدمون المباني ويحرقون الكتب ويقتلون المفكرين والعلماء.

وقد استطاع جنكيز خان أحد زعماء هذه القبائل أن يكوِّن منها وحدة أصبحت آنذاك خطراً على الحضارة الإنسانية. وقدر له النجاح، فبسط سلطانه على معظم الصين وبلاد التركستان حتى حدود إيران.

وقد وقف خلفاء جنكيز خان على أبواب العالم الإسلامي، وآلت قيادتهم إلى هولاكو، حفيد جنكيز خان، فزحف بجيوشه الجرارة على العالم الإسلامي، حتى وصل بغداد، عاصمة الخلافة، وقبض على الخليفة العباسي المستعصم بالله، وأباح العاصمة لرجاله مُدّة أربعة أيام، ثم قتل الخليفة مع الكثيرين من أفراد أسرته. وزالت بذلك الخلافة الإسلامية من بغداد عام ٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م.